المختصر اليسير

في سيرة البشير النذير

جمع وترتيب
أبو الفضل سيد محمد الأزهري

ليست السيرة النبوية مجرد قصة يتسلى بها السامع أو القارئ، ولا عملًا فنيًا يتوخى كاتبه إخراجه محفوفًا بعناصر الإثارة والتشويق، ولا مادة إعلامية تستهدف الإعجاب، وترنو إلى المزيد من المشاهدات والمشاركات، ولكنها شريعة ربانية مصوغة في قالب أحداث واقعية. فعظمة الرسول ﷺ ليست في كونه إنسانًا تميز بما لا يُحصى من الفضائل النفسية والشمائل الخلقية، ولكنه قبل ذلك الرسول المؤيد بالوحي السماوي، ومن ثم تكاملت فضائله مع السمو الروحي المرتبط بالوحي الإلهي؛ لتبلغ به أقصى مدارج الكمال والجلال .

وكتب السيرة النبوية كثيرة جدًا، جُلها طويل لا تصبر أجيال اليوم على قراءتها، وهم أبناء وسائل التواصل، وعصر السرعة، والمتغيرات، والمُغريات؛ لهذا يأتي هذا الكتاب لعرض أحداث السيرة النبوية بأسلوب سهل مناسب لهم، وبطريقة مختصرة ملائمة للعصر الذي نعيش فيه، فكانت هذه الصفحات اليسيرة بمثابة رؤوس أفلام، وسرد سريع لحياة النبي ﷺ، مع الحرص على استلهام جُملة من الدروس الماتعة النافعة، التي لا غنى للشباب اليوم عن فهمها، والعمل بمُقتضاها، ولا مناص أمام الدعاة الراشدين من الدندنة حول معانيها، والتذكير المتواصل بدروسها.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

تقديم الأستاذ الدكتور/ مصطفىٰ السواحلي ٥
الدنيا قبل رسول الله ﷺ ١٧
مولد النبي ﷺ ونشأته ٢١
بعثة النبي ﷺ وأول نزول الوحي ٢٧
إيذاء قريش للنبي وأصحابه ٣٣
المراجع ١٢٥
فهرس الموضوعات ١٢٧

عينة للقراءة

تقديم الأستاذ الدكتور/ مصطفى السواحلي

أستاذ اللغة العربية وعلومها لدىٰ كلية اللغة العربية وعلومها
جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية

الحمدُ لله الذي علَّم بالقلمِ، علَّم الإنسانَ ما لم يعلمْ، والصلاةُ والسَّلامُ علىٰ مَنْ بعثه ربُّه مُعَلِّمًا، فَعَلَّم الجاهلَ، وقوَّمَ المائلَ، وميَّزَ الحقَّ من الباطلِ.

أمَّا بعدُ،

فليستِ السِّيرةُ النبويَّةُ مُجرَّدَ قِصَّةٍ يَتَسَلَّىٰ بها السَّامعُ أو القارئُ كما يتسلَّىٰ مَنْ يقرأُ القِصَصَ أو الرِّواياتِ الأدبيَّةَ، ولا عَملًا فنيًّا يتوخَّىٰ كاتِبُهُ إخراجَهُ محفوفًا بعناصرِ الإثارةِ والتَّشويقِ، ولا مادَّةً إعلاميَّةً تستهدِفُ الإعجابَ، وترنُو إلىٰ المزيدِ من المشاهداتِ والمشاركاتِ، ولكنَّها شريعةٌ ربانيَّةٌ مَصوغةٌ في قالبِ أحداثٍ واقعيَّةٍ، فلا مِريةَ أنَّ أفعالَ النَّبيِّ ﷺ وتقريراتِهِ وسائرَ حركاتِهِ وسَكَناتِهِ سُنَّةٌ متبوعةٌ، وأعلامٌ مرفوعةٌ، ومناراتٌ تهدىٰ السَّالكينَ إلىٰ صراطٍ مستقيمٍ، ولبناتٌ مُتراصَّة في صرحِ التَّوحيدِ القويمِ، وأسوةٌ حَسَنةٌ لكلِّ مَنْ رامَ النجاةَ من غوائلِ الشُّبهاتِ والشَّهواتِ، وخَطَبَ النَّعيمَ المقيمَ في رَوْضاتِ

الـجـنَّـاتِ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وعَظَمةُ الرَّسولِ ﷺ ليستْ في كونِهِ إنسانًا تميَّزَ بما لا يُحْصَىٰ من الفضائلِ النَّفسيَّةِ والشَّمائلِ الخُلُقيَّةِ، فهو في محاريبِ العبادةِ القانتُ الأوَّابُ، وفي مقامِ الثِّقةِ الصَّادقُ الأمينُ، وفي مواطنِ التَّضحيةِ والفداءُ البَطَلُ المِقْدامُ، وفي جوانبِ العلاقاتِ الإنسانيَّةِ الرؤوفُ الرَّحيمُ، وعلىٰ منابرِ البيانِ الخطيبُ المِصْقَعُ، ولكنَّه قبل ذلك كلِّهِ الرَّسولُ المؤيَّدُ بالوَحْيِ السَّماويّ، والنبيُّ الَّذِي لا ينطِقُ عَنِ الهوىٰ، إنْ هو إلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ، فهو بشرٌ يُوحَىٰ إليه؛ ومِنْ ثَمَّ تكاملتْ لديه الفضائلُ النفسيَّةُ مع السُّمُوِّ الرُّوحيِّ المرتبطِ بالوحي الإلهيِّ؛ لتبلغَ به أقصىٰ مَدَارجِ الكَمَالِ والجلالِ.

وعَظَمةُ السِّيرةِ النَّبويَّةِ ليستْ من جِهَةِ كَوْنِها مِرآةً حَيَّةً للرِّسالَةِ السَّماويَّةِ الخاتمةِ فَحسبُ، ولكنْ لأنَّها تجربةٌ إنسانيَّةٌ فريدةٌ، تمكَّنَتْ بسواعدِ المؤمنينَ الصَّادقينَ من بناءِ دَولةٍ فَتِيَّةٍ، وصلتْ في أقلَّ من قرنٍ من الزَّمانِ إلىٰ حُدودِ الصِّينِ شرقًا، وإلىٰ قلبِ أُوروبّا غربًا، وهم الذينَ كانُوا منذُ سنواتٍ معدودةٍ مُستضْعَفينَ في الأرضِ يخافونَ أنْ يَتَخَطَّفَهم النَّاسُ، فغيَّر أولئكَ المُسْتَضْعفونَ مَجْرَىٰ التَّاريخِ، وحوَّلوا الأمَّةَ العربيَّةَ من قبائلَ مُتناحرةٍ، لا تُلِمُّ بها إلَّا علىٰ صَنَمٍ قد هامَ في صنمٍ، إلىٰ أمَّةٍ ذاتِ حضارةٍ باسقةٍ،

عينة للقراءة

حملتْ مشاعلَ العلم قُرونًا، وعلَّمَتِ البشريَّةَ جمعاءَ، فلم يجدِ المنصفون من المفكِّرين الغربيِّين مَناصًا من الاعترافِ بأنَّهم كانوا كُلًّا كَلًّا عليها.

وقد اهتمَّ العُلماءُ قديمًا وحديثًا علىٰ اختلافِ مَشاربِهم ومآربِهم بالسِّيرةِ النبويَّةِ؛ ابتداءً من التَّخَصُّصِ في نَقْلِ مَرويَّاتها علىٰ يدِ جيلٍ من التَّابعينَ الأجِلَّاءِ، وانطلاقًا إلىٰ تدوينِ أحْدَاثِها مُرَتَّبَةً في مؤلَّفاتٍ رائدةٍ علىٰ يدِ ثُلَّةٍ من الكُتَّابِ الأوائلِ، من أمثالِ محمَّدِ بنِ إسحاق (ت١٥١هـ)، وعبد الملك بن هشام (ت٢١٣هـ)، ومُرورًا بالتفنُّنِ في عرضِ أحداثِها شعرًا ونثرًا، اختصارًا وتفصيلًا، جَمْعًا وتهذيبًا، وتشعُّبًا إلىٰ بيانِ دلائلِ النُّبوَّةِ وسَرْدِ الشَّمائلِ المحمديَّةِ، وانتهاءً إلىٰ جهودِ المعاصرينَ في بيانِ فقهِ السِّيرةِ، وتحليلِ أحداثِها، واستلهامِ الدُّروسِ والعِبَرِ منها. والسِّيرةُ الغرَّاءُ في ذلكَ كُلِّهِ كأنَّها بحرٌ لُجِّيٌّ لا تُغِيضُه الدِّلاءُ، وكتابٌ حكيمٌ لا يَخْلَقُ علىٰ كَثْرَةِ الرَّدِ، ونافِجَةُ مِسْكٍ كلَّما حرَّكْتها أعطتْكَ طِيبًا.

والدَّوْرُ المَنُوطُ بالأُمَّةِ في مِحْنَتِها الرَّاهِنَةِ ألَّا تَتَوَقَّفَ عِنْدَ اجترارِ تلكَ الأحداثِ اجترارَ بعضِ الحيواناتِ طعامَها، وألَّا تَسْكَرَ بجمالِها الأخَّاذِ عن التحدِّياتِ التي تواجِهُها، وألَّا تقتَصِرَ علىٰ تناشُدِ الأشعارِ في بعضِ ذِكْرَياتها، وإنَّما أنْ تَسْتَنْبِطَ منها عواملَ البِناءِ والاستقرارِ والتَّمكينِ والاستخلافِ؛ فَتَسْتَمْسِكَ بها،

وأنْ تأخُذَ منها بمفهومِ المخالفةِ أسبابَ الوَهَنِ والانهيارِ والتَّخلُّفِ والاستبدالِ؛ فَتَتَنَكَّبَ عنها، وألَّا تَقْعُدُ رَهينةً لِلْعَجْزِ وَالتَّواني بانتظارِ مُعْجزةٍ سماويَّةٍ؛ فقد انتهىٰ عَصْرُ المُعْجِزاتِ، وخُتِمَتِ الرِّسالاتُ، وهذا هو جَوْهَرُ الغرضِ من عَرْضِ أحداثِ السِّيرةِ ودراسَتِها، والذي نأمُلُ أنْ يُحقِّقَ للأُمَّةِ ما تَصْبُو إليه من عزٍّ واستخلافٍ وتمكينٍ، وأنْ يَسْتَنْقِذَها من براثنِ الاستبدالِ والاستئصالِ، وأنْ يُجنِّبها المُوبِقَاتِ الَّتي تُعرِّضُ الأُمَمَ للزَّوالِ.

وإنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ أنْ يكونَ لَدىٰ أمَّتِنا هذا الكَنزُ الثَّمينُ من الأحداثِ الحافلةِ بالآياتِ والعِبَرِ، وكلُّها مَناراتٌ ترسمُ لنا معالمَ الطَّريقِ، وتَضعُ النِّقاطَ علىٰ الحُروفِ، وتُسلِّطُ الأضواءَ الكاشفةَ علىٰ سواءِ الطَّريقِ المستقيمِ، الموصِّلِ إلىٰ أكرمِ غايةٍ، وأسمىٰ نهايةٍ، وتُنادِي علىٰ فُلولِ الحائدينَ النَّاكبينَ: ليسَ الطَّريقُ هُنالِك! ولكنَّ الأمَّةَ -للأسفِ- تَعْمَىٰ أبصارُها عن استثمارِ كَنْزِها الدَّفينِ، وتصمُّ آذانَها عن الاستماعِ إلىٰ ناصِحِها الأمينِ، وتلْتَمِسُ مُنْقِذًا شَرقيًّا تارةً، ومُخَلِّصًا غربيًّا تارةً أخرىٰ، فما يَزيدُها المُنْقِذُونَ الطَّامعونَ والمُخَلِّصُون غيرُ المُخْلِصِين إلَّا تَوَحُّلًا في مُسْتَنْقعاتِ التَّبَعِيَّةِ، وتخلُّفًا عن ركبِ الحضارةِ الإنسانيَّةِ.

ونحنُ علىٰ يقينٍ أنَّ ما أصابَ الأُمَّةَ من وَهَنٍ جَعَلَها غُثاءً كغُثاءِ السَّيلِ، وحَمَلَهَا علىٰ أنْ تنقُضَ غَزْلها من بعدِ قُوَّةٍ أنكاثًا،

إنَّما هو راجعٌ -في جُملةِ ما يرجِعُ إليه- إلىٰ الجهلِ بالسِّيرةِ النَّبويَّةِ، والصُّدودِ عن استخلاصِ العِبَرِ من دُرُوسِها الثَّريَّةِ، والبُعدِ عن تطبيقِ مُقْتَضَياتِها علىٰ أرضِ الواقعِ، وعلىٰ يقينٍ كذلكَ أنَّ المَخْرجَ من هذا النَّفَقِ المُظْلم ليس بمجرَّدِ الصُّراخِ: فَهَلْ إلىٰ خُروجٍ من سبيلٍ؟! وإنَّما بالأخذِ بأسبابِ النَّجاة، وإعادةِ قراءةِ أحداثِ تلك السِّيرةِ وِفقَ فهمٍ رشيدٍ لمُعْطَياتِها، والتماسِ المَخْرجِ المنشودِ وفقَ آليَّاتِها، التي أكَّدتْ حوادثُ التَّاريخِ نجاحاتِها المُتكرِّرة، فلسنا بِدْعًا من الأُمَم، ولا نَشَازًا في مَنظومةِ النَّواميسِ الكونيَّة، ولا استثناءً من قواعدَ مطَّردةٍ لا تُحَابِي أَحدًا.

والكتابُ الَّذي بَيْنَ أيدينا يعرضُ أحداثَ السِّيرةِ النبويَّةِ بأسلوبٍ سهلٍ مُناسبٍ للنَّاشِئَةِ، وبطريقةٍ مختصرَةٍ ملائِمَةٍ للعصرِ الذي نعيشُ فيه، معَ الحرصِ علىٰ استلهامِ جُملةٍ من الدُّروسِ الماتِعَةِ النَّافعةِ، التي لا غِنَىٰ للشَّبابِ اليومِ عن فَهْمِها، والعملِ بِمُقْتضاها، ولا مناصَ أمامَ الدُّعاةِ الرَّاشدينَ من الدَّنْدَنَةِ حولَ مَعانيها، والتَّذكيرِ المتواصِلِ بِدُروسِها، وإدمانِ العَزْفِ علىٰ أوتارِها بأنغامٍ مختلفةٍ، فالنَّائمُ بحاجة إلىٰ مَنْ يعملُ باستمرارٍ علىٰ إيقاظِه، والمريضُ بحاجةٍ إلىٰ مَنْ يَصْطَبِرُ علىٰ علاجِه، والغافلُ بحاجةٍ إلىٰ مَنْ يُكرِّرُ له طرائقَ التَّنبيهِ؛ لِيَسْتَنْقِذَه من الذُّهولِ الَّذِي هو فيه.

عين للقراءة

والأستاذُ أبو الفَضْلِ سيّد محمد الأزهريّ -حَفِظَه اللهُ- منْ خِيرَةِ الجِيلِ الَّذينَ دَرَّسْتُ لهم، والَّذينَ يُحبُّونَ العِلمَ وأهلَه، ولهمْ هِمَّةٌ عاليةٌ في طَلَبِه، كما يحمِلُونَ همَّ هذهِ الأمَّةِ، ويلتمسونَ لها نجاةً ومَخرجًا، وعلىٰ أبناءِ جِيلِهِ من الشَّبابِ الواعِي الواعِدِ المُعَوَّلُ في حملِ الرَّايةِ، وصَوْنِ الأمانةِ، وتبليغِ الرِّسالةِ؛ ومن ثَمَّ لَمْ يرضَ لنفسِهِ مقامَ المُتقاعِسِ الكَسْلانِ، بل نهضَ نهضةَ النَّذيرِ العُريانِ، وتَطَوَّعَ أنْ يُوقِدَ شَمْعةً في ليلٍ بَهيمٍ، بدلًا مِنْ أنْ يرفَعَ عَقِيرَتَهُ بِلَعْنِ الظَّلامِ، ونَذَرَ للهِ أنْ يبذُرَ حبَّةً في أرضٍ هامدةٍ يُرجَىٰ أنْ ينزلَ عليها الماءُ، فتهتزُّ أرضُها، وتربُو، وتُنْبِتُ مِنْ كُلِّ زَوجٍ بَهيجٍ.

نسألُ اللهَ أنْ يتقبَّلَ جُهْدَه، وأنْ يبارِكَ غَرْسه، وأنْ تتحوَّلَ هذه الفَسيلةُ من الكَلِمِ الطَّيِّبِ إلىٰ شجرةٍ باسقةٍ ذاتِ أفنانٍ، أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السَّماء، كما نسألُه -سبحانَه- أنْ يُثقِّلَ موازينَ حَسناتِ كلِّ مَنْ أسهمَ في إخراجِ هذا الكتابِ بجُهْدٍ مَادِّيٍّ أو معنويٍّ، أو مَنْ تفضَّلَ علىٰ القائمينَ عليه بدعوةٍ صالحةٍ، لعلَّها قد فُتِّحتْ لها أبوابُ السَّماء، فانعكَسَتْ تَوفيقًا وتَيْسيرًا.

وختامًا، فلا نملكُ إلَّا أنْ نَدْعُوَ للأمَّةِ بأنْ يُهيِّئَ الله لها مِنْ أمرِها رَشَدًا، وأنْ يأخُذَ بِيَدِها إلىٰ سُبُلِ التَّوفيقِ والهدايةِ، وأنْ يَكْلأَها بعين الحفظِ والعِنايةِ، وأنْ يجعلَ يومَها خيرًا مِنْ أَمْسِها،

وغَدَها خيرًا مِنْ يَوْمِها، وأنْ يُقِرَّ أعيُنَ أبنائِها المُخْلِصين، بيومٍ تعلو فيه رايةُ الموحِّدِين، وتنكَسِرُ فيه شَوكَةُ المُبْطِلِين.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

د. مصطفى السَّواحليّ

الأربعاء ٢٦ جمادىٰ الآخرة ١٤٤٤هـ

الموافق ١٨ يناير ٢٠٢٣م

عبقة للقراءة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد لله وحدَه، والصلاة والسلام علىٰ مَن لا نبيَّ بعده، سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.

قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

أما بعد:

فإن سيرةَ النبيِّ ﷺ هي مَنبَع التأسِّي، ودستور الاقتداء، ومِشعَلُ الهداية الذي يُضيء الطريق للسائرين علىٰ نهجِه، المُحِبِّين لشرعه ودينه.

والأجيال التي تجهل سيرةَ نبيِّها ﷺ لا يمكن أن تبنيَ أُمَّةً، أو تصنعَ مجدًا، بل لن تعرفَ غايتَها وسبيلَها في هذه الحياة.

فكيف بأمة سيرةُ نبيِّها ﷺ أعظمُ السِّيَر، وحياتُه تفوحُ مِسكًا ورَيحانًا؟!

في كلِّ ساعةٍ منها عبرة، وخلف كلِّ موقفٍ منها عِظة.

حياة يمَلؤها العَدلُ، والعَفوُ، والكِفاحُ، والعَزيمةُ، والأملُ.

حياة رجُلٍ حوَّل أُمَّةً أُمِّيَّةً باديةً في أقلَّ من نِصف قرنٍ إلىٰ أمة عالِمة منظَّمة متقدِّمة، تقود الأُمَمَ، وتَرسُم الخُطَطَ، وتبني

المدن، وتهدي الناس، وتنفِّذ شرع الله ﷻ، وتحمي الضُّعفاء، وتكفُل الحرية والأمنَ للناس كل الناس.

نَبيٌّ أتانا بعد يأسٍ وفترةٍ
منَ الرُّسْلِ والأوثانُ في الأرضِ تُعبَدُ
فأمسىٰ سِراجًا مُستنيرًا وهادِيًا
يلوحُ كما لاحَ الصَّقيلُ المُهَنَّدُ
وأنذَرَنا نارًا وبشَّر جَنَّةً
وعَلَّمَنا الإسلامَ فاللهَ نَحمَدُ[1]

وكُتب السيرة كثيرةٌ جدًّا، جُلُّها طويلٌ لا تصبر أجيالُ اليومَ علىٰ قراءتها، وهم أبناءُ وسائلِ التواصُلِ، وعصر السرعة، والمتغيِّرات، والمُغْرِيَات؛ فكانت هذه الصفحاتُ اليسيرةُ بمثابة رؤوسِ أقلام، وسردٍ سريع لحياة النبيِّ ﷺ؛ عسىٰ أن ينتفِعَ بها مُرَبٍّ ومعلِّمٌ، أو يقرأَها تلميذٌ أو متعلِّم، أو يمُرُّ عليها مُنشغِلٌ أو مُتعَبٌ؛ فتكون زادًا له ولي إلىٰ حب النبيّ ﷺ.

واللهَ أسأل أن يجعلَها خالصةً لوجهِه الكريمِ، وأن يكتُبَ لها القَبولَ.

إلَهي أَعِنِّي برَحمَتِكَ التي
وَسِعَت وأوسَعْتَ الورىٰ بها بِرًّا

(١) انظر ديوان حسان بن ثابت ص٥٤ - دار الكتب العلمية - الطبعة الثانية ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

وقَوِّ برُوحٍ منك ضَعفي وهِمَّتِي
علىٰ الفَقرِ واغفِرْ زَلَّتي واقبَلِ العُذْرَا
وبَعد حياتي في رِضاكَ تَوَفَّني
علىٰ المِلَّةِ البيضاءِ والسُّنَّةِ الزَّهْرَا[1]

عينة للقراءة

(١) انظر شرح ديوان البرعي في المدائح الربانية والنبوية والصوفية ص٧ - مؤسسة المطبوعات الإسلامية.

المـراجع

١- البداية والنهاية لابن كثير.
٢- تهذيب السيرة النبوية لعبد السلام هارون.
٣- ثلاثية البردة لحسن حسين.
٤- ديوان حسان بن ثابت.
٥- الرحيق المختوم للمباركفوري.
٦- زاد المعاد لابن القيم.
٧- سنن الترمذي.
٨- السيرة النبوية الصحيحة لأكرم العمري.
٩- السيرة النبوية لراغب السرجاني.
١٠- شرح النووي علىٰ صحيح مسلم.
١١- شرح ديوان عبد الرحيم البرعي.
١٢- صحيح البخاري.
١٣- صحيح مسلم.
١٤- فقه السيرة النبوية لمحمد سعيد البوطي.
١٥- فقه السيرة لغزالي.
١٦- فقه السيرة لغزالي.

عينة للقراءة

١٧- مسند الإمام أحمد.

١٨- المسك والعنبر في خطب المنبر.

١٩- مع المصطفىٰ لبنت الشاطئ.

٢٠- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين لمحمد الخضري بك.

عينة للقراءة